Al Jinan الجنان

Volume 14 Article 17

2021

Alternation of prepositions in Arabic among grammarians and its impact on the interpretation of meaning

Ahmad Tamtami
jinan university, obaidtamtami1984@icloud.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan

Part of the Arabic Studies Commons

Recommended Citation

Tamtami, Ahmad (2021) "Alternation of prepositions in Arabic among grammarians and its impact on the interpretation of meaning," *Al Jinan الجنان*: Vol. 14 , Article 17.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aljinan/vol14/iss1/17

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Al Jinan الجنان by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

أ. أحمد التمتمي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية
جامعة الجنان

Ahmed Al-Tamtami
Faculty of Literature and Humanities
Department of Arabic language
Jinan University

حكم التناوب في حروف المعاني الجارّة عند النحويين وأثره في التفسير
(نماذج من «تيسير التّفسير» و«الهميان» للقطب)

Alternation of prepositions in Arabic among grammarians and its impact on the interpretation of meaning

DOI: 10.33986/0522-000-014-017

ملخص البحث

يتناول هذا البحث موضوع حروف المعاني، وأثرها في تفسير الآيات القرآنية، وعرض نماذج تطبيقية من كتابَي «تيسير التفسير» و«الهميان» للقطب أطفيش.

إشكالية البحث: ما مذاهب النحويين في تناوب الحروف؟ وما الرأي الذي ذهب إليه القطب من خلال عرض نماذج تطبيقية من كتابَيه: «تيسير التفسير» و«الهميان»؟

ويهدف البحث إلى بيان رأي القطب في مسألة تناوب الحروف، مع عرض نماذج تطبيقية متفرقة من كتابَيه «تيسير التفسير» و«الهميان».

والمنهج المتبع في هذا البحث هو الجمع بين المنهجين الوصفي والتحليلي.

ومن نتائج البحث: أن النحويين قد اختلفوا في مسألة تناوب حروف المعاني، ويرى القطب جوازَ تناوب الحروف، وحيث إنه رَبَطَها بالمجاز كالتشبيه والاستعارة.

الكلمات المفتاحية: حروف، معاني، تفسير.

Abstract

This research deals with the topic of the letters of meanings and their effect on the interpretation of the Qur'anic verses, and presents applied examples from the book "Facilitating Tafsir" by Qutb Atfayesh.

The research problem: what are the doctrines of grammarians in the rotation of letters, and what is the opinion that the pole went to by presenting applied models from his book, Facilitation of Interpretation.

The research aims to explain Qutb's opinion on the issue of rotation of letters, while presenting various applied models from the book Facilitation of Tafsir.

The approach used in this research is a combination of the descriptive and analytical approaches.

Among the results of the research: that the grammarians differed on the issue of alternating letters of meanings, and the pole saw the permissibility of rotating letters, and related them to metaphors such as simile and metaphor.

Key words: letters, meanings, interpretation.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فلا يخفى على أحد أهمية اللغة العربية ودورها في فهم النصوص الشرعية، ولقد اهتم علماء الشريعة باللغة العربية اهتمامًا كبيرًا، فجعلوها شرطًا من شروط الاجتهاد نحوًا وصرفًا وبلاغة، ومن تلك الأبواب النحوية التي ركَّز عليها علماء الشريعة «حروف المعاني»، فتجد كتب الأصول مشرقة بباب حروف المعاني، كما تجد أثرها ظاهرًا في كتب الفقه، ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث ليلقي الضوء على كتابَي القطب أطفيش «تيسير التفسير» و«الهميان»، فتبيِّن جزءًا من أثر هذه الحروف في التفسير، على أنني لم أستقص كل مواضع حروف المعاني في كتابَي «تيسير التفسير» و«الهميان» بل اقتصرت على بعض النماذج.

مشكلة البحث:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما مذاهب النحويين في تناوب الحروف؟
- ما حُجَّة كل فريق في مسألة تناوب الحروف؟
- ما الرأي الذي ذهب إليه القطب في هذه المسألة من خلال كتابيه «تيسير التفسير» و«الهميان»؟
- هل لحروف المعاني أثر في تأويل آيات كتاب الله؟
- ما نماذج ذلك من كتابيه «تيسير التفسير» و«الهميان»؟

أهداف البحث:

١. بيان مذاهب النحويين في تناوب الحروف، مع بيان حُجَّة كل فريق منهم.
٢. استخلاص رأي القطب في مسألة تناوب الحروف من خلال كتابيه «تيسير التفسير» و«الهميان».
٣. بيان أثر حروف المعاني في تأويل كتاب الله.
٤. عرض نماذج تطبيقية لتناوب الحروف من كتابيه «تيسير التفسير» و«الهميان».

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة حول هذه القضية في كتابَي «تيسير التفسير» و«الهميان» مع البحث والتقصي قدر المستطاع.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن أجمع فيه بين المنهجين الوصفي والتحليلي.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وفيها: إشكالية البحث، وأهدافه، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: نشأة حروف المعاني.

المبحث الثاني: حكم التناوب في حروف الجر عند النحويين.

المبحث الثالث: نماذج من «تيسير التفسير» و«الهميان».

الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث، والتوصيات.

المبحث الأول: نشأة حروف المعاني

تعريف الحرف لغة واصطلاحًا:

لغةً:

الحرف لغة: طرف كل شيء وحده، قال الجوهري: «حرفُ كل شيء: طرفُه وشَفيرُهُ وحَدُّهُ. ومنه حَرْفُ الجبل، وهو أعلاه المُحَدَّدُ. والحَرْفُ: واحد حُروفِ التهجّي. وقوله تعالى: ﴿ومِنَ الناسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ على حَرْفٍ﴾ قالوا: على وَجهٍ واحد، وهو أن يعبده على السَّرَّاء دون الضَّراء»[1].

اصطلاحًا:

تنقسم الحروف في العربية من حيث المعنى إلى قسمين أساسين:

الأول: حروف المباني:

وهي حروف الهجاء التي تتكون منها الكلمات العربية، ولا معاني لها في انفرادها دون تركيب، ويصطلح عليها في اللسانيات بالأصوات.

وهي تسعة وعشرون على أن الهمزة غير الألف كما عند سيبويه[2]، وفي قول ثمانية وعشرون حرفًا على أن الهمزة هي الألف كما عند المبرد، وتصل إلى أكثر من ذلك بالنظر إلى الأصوات، فأَدْخَلَها بعضهم وجعلها مِن جُملة الحروف.

١- الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م. مادة (حرف)، (٤/ ١٣٤٢).

٢- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، (ت: ١٨٠هـ) **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م (٤/ ٤٣١).

قال المبرد: «وَقِسْمَة أَعدادها في مهموسها ومجهورها وشديدها ورخْوها وَمَا كَانَ منْهَا مطبقًا، وَمَا كَانَ من حُرُوف القلقلة، وَمَا كَانَ من حُرُوف المدّ واللين وَغير ذَلك، اعْلَم أَنَّ الْحُرُوف الْعَرَبيَّة خَمْسَة وَثَلَاثُونَ حرفًا، منْهَا ثَمَانيَة وَعشْرُونَ لَهَا صوَر والحروف السَّبْعَة جَارِيَة على الأَلْسُن مستدل عَلَيْهَا في الخطِّ بالعلامات»[٣].

وقال ابن السراج: «أَصلُ حروف العربية تسعةٌ وعشرونَ حرفًا: الهمزةُ، الألفُ، الهاءُ، العينُ، الحاءُ، الغينُ، الخاءُ، القافُ، الكافُ، الضادُ، الجيمُ، الشينُ، الياءُ، اللامُ، الراءُ، النونُ، الطاءُ، الدالُ، التاءُ، الصادُ، الزايُ، السينُ، الظاءُ، الذالُ، الثاءُ، الفاءُ، الباءُ، الميمُ، الواوُ. وتكونُ خمسةً وثلاثينَ حرفًا مستحسنةً النونُ الخفيفةُ، وهمزةٌ بينَ بينَ، والأَلفُ الممالةُ، والشينُ كالجيم، والصادُ كالزاي، وأَلفُ التفخيم، ويكونُ اثنين وأربعينَ حرفًا بحروفٍ غير مستحسنةٍ»[٤].

وهذه الحروف غير مرادة في تقسيم الكلام عند النحاة فهي لا تدل على معنى إلا بتركيبها تركيبًا تنتقل به من الهجاء إلى أحد أقسام الكلام الثلاثة، أو الأربعة؛ بناء على الخلاف المشهور في تقسيم الكلام عند النحاة الأوائل.

وعليه فلا بد أن نعلم أن المقصود بهذا التعريف هو حروف المعاني لا المباني المسماة حروف الهجاء، وقد اختلف النحاة في الحاجة إلى تعريف هذه الحروف وضابط حدها، كما يلي:

قيل: «لا يحتاج في الحقيقة إلى حد الحرف؛ لأنه كلم محصورة»[٥].

ويناقش: بأن الحروف كثيرة أوصلها بعضهم إلى مئة ونيف، وبعض ما ورد عن العرب مختلف في حرفيته واسميته كـ(مُن) -بضم الميم- أو حرفيته وفعليته كـ(ليس) ووضع حد له يضبط الباب.

وقال أكثر النحاة بتعريف الحرف، ومما قيل:

١-الحرف كلمة دلت على معنى في غيرها، أو هو ما دل على معنى في غيره[٦].

واعترض عليه بأن الحروف الزائدة لا تدل على معنى في غيرها.

٣- المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي (ت: ٢٨٥هـ) **المقتضب** تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت. (١/ ١٩٢).

٤- ابن السراج، محمد بن السري بن سهل النحوي (ت: ٣١٦هـ) **الأصول في النحو**، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت (٣/ ٣٩٩).

٥- المرادي، بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المالكي (ت: ٧٤٩هـ) **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م (ص٢٠).

٦- الفاكهي، عبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي (٨٩٩ - ٩٧٢ هـ) **شرح كتاب الحدود في النحو**، تحقيق: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، المدرس في كلية اللغة العربية بالمنصورة، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ. - ١٩٩٣م - ص١٠٢، ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس (ت: ٦٤٦هـ) **أمالي ابن الحاجب**، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن، دار الجيل – بيروت، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م (١/ ٣١٠).

ونُوقش: بأنها لها معاني كالتأكيد وتقوية المعنى، فقولك: «ما جاءني أحد» يختلف عن قولك: «ما جاءني من أحد».

٢-**قال الفارسي:** «ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، نحو لام الجر وبائه، وهل، وقد، وسوف، وحتى، وأما»[٧].

والظاهر أن هذا التعريف مأخوذ من نص سيبويه في الكتاب إذ يقول: «وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعلٍ فنحو: ثُمَّ، وسَوْف، وواو القسم ولام الإضافة، ونحوها»[٨].

وناقشه ابن يعيش فقال: «وقولهم ما دل على معنى في غيره أمثل مِن قول مَن يقول: ما جاء لمعنى في غيره؛ لأن في قولهم: ما جاء لمعنى في غيره إشارة إلى العلة، والمراد من الحد الدلالة على الذات لا على العلة التي وضع لأجلها، إذ علة الشيء غيره»[٩].

ومهما يكن من أمر فإن حده بقوله: «كلمة دلت على معنى في غيرها» أضبط ما قيل؛ ذلك أن الحرف من جنس الكلام، فهو كلمة، وإنه يدل على المعاني في تركبه مع غيره، غير أن قولهم: «دل على معنى في غيره» يوحي بأنه لا يدل على معنى في نفسه، وهذا فيه نظر، ولا أظنه مقصود النحاة، فمعلوم أن لهذه الحروف معاني لأنها معاني في ذاتها، لكن المقصود أن معانيها لا تظهر إلا من خلال السياق، فمثلاً لحرف الجر (من) معاني كثيرة: كالتبعيض، وبيان الجنس، وابتداء الغاية، والتأكيد ونحو ذلك، وهذه المعاني إنما تعرف من خلال السياق، فكل معنى من معاني (مِن) إنما نعرفه من خلال السياق، وإليك أمثلة ذلك:

١ـ قولك: «ما جاءني من أحد».

٢ـ قوله تعالى:

﴿مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ...﴾[البقرة: ٢٤٩]

٣ـ قوله تعالى:

﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾[الإسراء: ١].

نلاحظ أن حرف (مِن) دل على معاني مختلفة تعرف من خلال السياق، وللسياق قضية كبيرة في فهم اللغات سواء تعلق ذلك بالحروف كما في موضع البحث، أو في الاشتقاق أو الدلالة

٧- أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت: ٣٧٧هـ) **الإيضاح العضدي**، تحقيق: حسن شاذلي فرهود (كلية الآداب، جامعة الرياض) ط١، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م (ص٨).

٨-سيبويه، الكتاب (١/ ١٢).

٩- ابن يعيش: يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي (٦٤٣هـ)، **شرح المفصل للزمخشري**، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م (٤/ ٤٤٧).

المعجمية، فمثال الاشتقاق قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: ٤٥]،

نفهم من خلال السياق أن الحجاب ساتر لا مستور، ولكنه عبر باسم المفعول، وعدل بذلك عن اسم الفاعل لدلالة بلاغية، وهذا ما يصطلح عليه بالعدول، ومثال الدلالة المعجمية قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: ٥٢]،

فالكلمة (تَمَنَّى) لها معان معجمية منها القراءة، لذلك فسر بعض العلماء التمني هنابالقراءة.

جاء في تفسير الطبري: «واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿تَمَنَّى﴾ في هذا الموضع، وقد ذكرت قول جماعة ممن قال: ذلك التمني من النبي ﷺ ما حدثته نفسه من محبته، مقاربة قومه في ذكر آلهتهم ببعض ما يحبون، ومن قال ذلك محبة منه في بعض الأحوال ألا تذكر بسوء. وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا قرأ وتلا أو حدّث»[١٠].

عدد حروف المعاني:

اختلفت المصادر النحوية في عدد حروف المعاني فمنهم من جعلها ثلاثة وسبعين حرفًا[١١]، ومنهم من ذكر خمسة وتسعين حرفًا كالمالكي في رصف المباني، حيث قال: «اعلم أن جملة الحروف في هذا الكتاب خمسة وتسعون حرفًا»[١٢].

ومِن النحاة من زاد على مئة حرف كما فعل المرادي في الجنى الداني، حيث قال: «وقد وقفت على كلمات أخرى مختلف في حرفيتها ترتقي بها عدة الحروف على المائة»[١٣].

والذي يبدو لي أن كثيرًا من تلك الحروف المتعددة، لهجات أو لغات لذات الكلمة، تكلمت قبائل العرب بها بلهجات مختلفة نحو (سُواء ـ سِواء ـ سَواء) ونحو (مِن ـ مُن) وإذا جمعنا تلك اللهجات وضمناها إلى بابها نقلص عدد حروف المعاني، ولست في صدد البحث والتقصي في عدد الحروف فهذا مما يطيل البحث.

١٠- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) **جامع البيان في تأويل القرآن**، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠م (١٨/ ٦٦٧).

١١- المرادي، بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المالكي (ت: ٧٤٩هـ) **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م (ص٢٨).

١٢- المالقي، أحمد بن عبد النور (ت: ٧٠٢هـ) **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (ص٢٨).

١٣- المرادي، **الجنى الداني في حروف المعاني** (ص٢٨).

كتب حروف المعاني:

لم تكن الحروف تفرد في مصنفات مستقلة في بداية التأليف النحوي، وإنما كانت ضمن كتب النحو عامة؛ لذلك يمكن تقسيم كتب الحروف إلى قسمين:

القسم الأول: كتب النحو الشاملة:

ونعني بها كتب النحو العامة التي تكلمت عن المسائل النحوية كلها مثل: كتاب سيبويه، والمقتضب للمبرد، والأصول لابن السراج ونحوها.

القسم الثاني: الكتب المتخصصة في حروف المعاني:

تذكر كتب التراجم جملة من الكتب في الحروف والأدوات، فمنها ما وصل إلينا وحُقق وطُبع، ومنها ما لم يصل، ولعل منها مخطوطًا لم ير النور، وهذه الكتب تأتي على قسمين:

الأول: ما هو مختص بحرف من حروف المعاني.

والثاني: ما شمل حروف المعاني على تفاوت بين متوسع ومقل، وسأعرض بعض تلك الكتب على وجه الإجمال، ثم أخص ما وقفت عليه من المطبوع، والله الموفق.

١- **حروف المعاني والصفات:** لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ)، وهو كتاب مطبوع بتحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م.

٢-كتاب اللامات للزجاجي (٣٣٧هـ)، وهو كتاب مطبوع بتحقيق د. مازن المبارك، دار الفكر دمشق (الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ).

وهو كتاب تحدث فيه الزجاجي عن حرف اللام فقط، فهو يتناول حرفًا واحدًا من حروف المعاني، فقال فيه: «هذا كتاب مختصر في ذكر اللامات ومواقعها في كلام العرب وكتاب الله عز وجل، ومعانيها وتصرفها والاحتجاج لكل موقع من مواقعها، وما بين العلماء في بعضها من الخلاف»[١٤].

وقد جعل أبواب الكتاب ثلاثين بابًا لأنواع اللامات وعددها عنده إحدى وثلاثون بابًا مع أربعة مسائل تتصل باللام.

ومما جاء فيه: باب لام إن: اعلم أن لام (إن) تدخل مؤكدة للخبر كما تدخل (إن) مؤكدة للجملة في قولك: إن زيدًا قائم، وإن زيدًا لقائمٌ، دخلت اللام في الخبر مؤكدة له»[١٥].

١٤- الزجاجي، اللامات (ص٢١).

١٥- المرجع السابق (ص٧٢).

٣-الحروف لأبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) ذكره المرادي في الجنى الداني في باب (رب)[١٦].

٤-منازل الحروف لعلي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ)، مطبوع.

٥-كتاب في حروف المعاني لأبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي المشهور بالقزاز (٤١٢هـ).

٦- الأزهية في علم الحروف للهروي (٤١٥هـ)[١٧]، مطبوع.

٧-شرح حروف المعاني لعلي بن فضال المجاشعي (٤٧٩هـ)[١٨].

٨-الهادي في الحروف والأدوات، أحمد بن محمد الميداني (٥١٨هـ)[١٩].

٩-رصف المباني للمالقي (٧٠٢هـ)، مطبوع.

١٠-معاني الأدوات والحروف لابن القيم (٧٥١هـ)[٢٠].

١١-مغني اللبيب لابن هشام (٧٦١هـ)، مطبوع.

المبحث الثاني: حكم التناوب في حروف الجر عند النحويين

اختلف النحويون في حقيقة تناوب حروف الجر إلى ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: يرى أكثر البصريين عدم تناوب حروف الجر مكان بعضها البعض فلا تكون «في» مكان «على»، ولا «على» مكان «إلى»، أي: في دلالتها على معناها.

قال ابن هشام: «مذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس كما أن أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك»[٢١].

وقال أبو حيان: «قال أصحابنا: لا تكون «على» في معنى «في»، بل هذا من التضمين في الفعل ضمن تتقول، فعديت بعلى لأن تقول: تعدى بها[٢٢].

١٦- الجنى الداني (ص٤٤٠).

١٧- السيوطي، عبد الرحمن أبو بكر (ت: ٩١١هـ) **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، د. ط. (٢/ ٢٠٥).

١٨- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) **معجم الأدباء**، المحقق، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣م (٤/ ١٨٣٥).

١٩- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ) **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، المحقق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٢م (١/ ١٥٧).

٢٠- السيوطي، بغية الوعاة (١/ ٦٣).

٢١- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله (المتوفى: ٧٦١هـ) **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط٦، ١٩٨٥م (ص١٥٠- ١٥١).

٢٢- أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (١/ ٥٢٣).

وما أوهم ذلك فلا يخلو عندهم من ثلاث أحوال [٢٣]:

١. التأويل، وذلك بتأويل الكلام تأويلاً يتوافق مع اللفظ والمعنى، كقوله تعالى: ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه: ٧١] فليس «في» بمعنى «على»، وإنما جيء بها للدلالة على تمكن المصلوب من الجذع للدلالة على شدة العذاب الذي توعَّد به فرعون السحرة.

٢. تضمين الفعل، وتضمين الأفعال أمر مستقر في النحو العربي حيث يضمن الفعل معنى فعل آخر يتعدى بالحرف كقوله تعالى: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾[يوسف: ١٠٠]، أي: لطف فضمنوا معنى لطف في أحسن وكقول الشاعر: شَرِبْنَ بِمَاءِ البَحْرِ ... قالوا: أي بمعنى روين بماء البحر.

٣. الشذوذ أي الحكم بالشذوذ في إنابة حرف مكان حرف فيما لم يتحقق فيه المعنيان الأوليان السابق ذكرهما.

ويستند البصريون على قاعدة الأصل، فالأصل في الألفاظ أنها وضعت لمعانٍ دل عليها كلام العرب فلا ينتقل عن تلك المعاني إلا بدليل ولا يقاس عليه، فما كان خارجًا عن ذلك فهو شاذ.

كما يستدلون بالقياس فكما لا تنوب حروف النصب مكان بعضها، وكذا حروف الجزم فلا تنوب حروف الجر مكان بعضها [٢٤].

المذهب الثاني: يرى أكثر الكوفيين وبعض المتأخرين أن حروف الجر تتناوب في معانيها، قال ابن هشام: «وهذا الأخير هو مجمل الباب كله عند أكثر الكوفيين وبعض المتأخرين، ولا يجعلون ذلك شاذًّا ومذهبهم أقل تعسفًا» [٢٥].

وهو ما عليه القطب كما يظهر من صنيعه في تفسيره، وسيأتي معنا نماذج من تطبيقاته في المبحث الثالث، وممن ذهب إلى ذلك ابن قتيبة، فقد جعل بابًا لتناوب الحروف سماه: «دخول بعض الصفات مكان بعض» وعدد فيه جملة من حروف الجر التي يناوب بعضها مكان بعض [٢٦].

والزجاجي في حروف المعاني [٢٧]، وابن مالك في شرح الكافية الشافية [٢٨].

٢٣- ينظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (١/ ٥٢٣)، ابن هشام، مغني اللبيب (ص١٥١)، السيوطي، همع الهوامع (٢/ ٤٦٣)، الأزهري، شرح التصريح على التوضيح (١/ ٦٣٧).

٢٤- ابن هشام، مغني اللبيب (ص١٥٠- ١٥١).

٢٥- ابن هشام، مغني اللبيب (ص١٥١).

٢٦- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى: ٢٧٦هـ، **أدب الكاتب**، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة ص٥٠٦.

٢٧- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ)، **حروف المعاني والصفات**، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٩٨٤م (ص٤٧).

٢٨- ابن مالك: محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: ٦٧٢هـ) **شرح الكافية الشافية**، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط١، مكة المكرمة، ١٤٠٢ه ١٩٨٢م (٢/ ٨٠١- ٨٠٢)، والبيت من الطويل من قصيدة لمتمم بن نويرة الصحابي اليربوعي يرثي أخاه مالكًا. ينظر: الأشموني، علي بن محمد بن عيسى، (ت: ٩٠٠هـ) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م (٢/ ٢١٨)، البغدادي، **خزانة الأدب** (٨/ ٢٧٢).

واستدلوا بشواهد كثيرة حملوها على هذا الباب منها:

١. قول متمم بن نويرة الصحابي اليربوعي:

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكًا لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا [٢٩]

والشاهد: مجيء اللام بمعنى «مع» في قوله: (لطول اجتماع).

٢. قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي، وقيل لغيره:

فَلَثَمْتُ فَاهَا آخِذًا بِقُرُونِهَا شُرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ مَاءِ الحَشْرَجِ [٣٠]

الشاهد مجيء الباء بمعنى «من» في قوله: (ببرد ماء).

٣. قول أبي ذؤيب الهذلي:

شَرِبْنَ بِمَاءِ البَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ [٣١]

الشاهد مجيء الباء بمعنى (من) في قوله: (بماء البحر).

المذهب الثالث: توسَّط بعض النحويين في القضية فلم ير إطلاق التناوب مطلقًا كما فعل الكوفيون ولم ير رفضه مطلقًا، كما هو رأي أكثر البصريين، ومن أولئك ابن جني، حيث قال في باب استعمال الحروف بعضها مكان بعض:

«هذا باب يتلقاه الناس مغسولًا ساذجًا من الصَّنعة، وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه. وذلك أنهم يقولون: إن «إلى» تكون بمعنى مع. ويحتجّون لذلك بقول الله سبحانه: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] أي: مع الله، ويقولون: إن «في» تكون بمعنى «على»، ويحتجون بقوله عز اسمه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: عليها ... ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا، لكنا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه، والمسوغة له، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا» [٣٢].

ويذهب ابن السراج إلى أن الضابط في ذلك هو تقارب معاني الحروف فقال: «اعلم: أن العرب تتسع فيها، فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني؛ فمن ذلك: الباء تقول: فلان بمكة

٢٩- البيت من الطويل من قصيدة لمتمم بن نويرة الصحابي اليربوعي يرثي أخاه مالكًا. ينظر: الأشموني، **شرح الأشموني** (٢/ ٢١٨)، البغدادي، **خزانة الأدب** (٨/ ٢٧٢).

٣٠- البيت من الكامل، وهو منسوبٌ إلى عدد من الشعراء؛ منهم: عمر بن أبي ربيعة، وقيل: لجميل بن معمَر، وقيل: لعبيد بن أوس الطائي. ينظر: ابن مالك، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: ٦٧٢هـ) **شرح تسهيل الفوائد**، تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م (٣/ ١٥٢)، المرادي، **الجنى الداني** (ص٤٤)، وابن هشام، **مغني اللبيب** (ص١٤٣).

٣١- البيت من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي. ينظر: البغدادي، **خزانة الأدب** (٧/ ٩٧)، ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد (ت: ٧٦١هـ)، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د، ط. (٣/ ٦).

٣٢- ابن جني، **الخصائص** (٢/ ٣١٠).

وفي مكة، وإنما جازا معًا لأنك إذا قلت: فلان بموضع كذا وكذا. فقد خبرت عن اتصاله والتصاقه بذلك الموضع، وإذا قلت: في موضع كذا فقد خبرت «بفي» عن احتوائه إياه وإحاطته به، فإذا تقارب الحرفان فإن هذا التقارب يصلح لمعاقبة، وإذا تباين معناهما لم يجز، ألا ترى أن رجلًا لو قال: مررت في زيد أو: كتبت إلى القلم، لم يكن هذا يلتبس به، فهذا حقيقة تعاقب حروف الخفض، فمتى لم يتقارب المعنى لم يجز»[٣٣].

وهذا الرأي الأخير هو أقرب الآراء للصواب فلا يرفض التناوب مطلقًا من حيث المبدأ لوروده في السماع ولا يطلق الأخذ به؛ لأن الإطلاق يقود إلى الاشتراك، والأصل عدم الاشتراك.

المبحث الثالث: نماذج من تيسير التفسير و«الهميان»

-**قوله تعالى:** ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]

اختلف المفسرون في معنى (في) في الآية، فمنهم من قال: هي على ظاهرها، ومنهم من جعلها بمعنى (على) وهو قول أبي عبيدة[٣٤]، والفراء[٣٥]، والزجاج[٣٦]، وعبد القادر الجرجاني[٣٧] وغيرهم.

واحتجوا بقول الشاعر:

وَهُم صلبوا العبدي في جِذْعِ نَخْلَةٍ فلا عطست شيبان إلا بأجدعا[٣٨]

وممن ذهب إلى هذا القول القطب في التيسير والهميان، ولم يقتصر القطب في جعل (في) بمعنى (على) بل يبين العلاقة بينهما فرأى أنها من باب الاستعارة. قال في التيسير: «﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ شدد مبالغة ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ أي عليها من ظاهرها بلا حفر فيها، شبه إدخالهم فيها مدة طويلة، جعلهم في داخلها لجامع التمكن استعارة أصلية، واستعارة (في) من جانب المشبه به لمعنى على من جانب المشبه تبعية، وقيل: حفر لهم في الجذوع، أو أراد الحفر فلا استعارة، وهو بعيد»[٣٩]، ونص القطب في تفسيره هميان الزاد على أن علاقة التناوب بين الحرفين

٣٣- ابن السراج، **أصول النحو** (١/ ٤١٤).

٣٤- أبو عبيدة، **مجاز القرآن** (٢/ ١٢٣).

٣٥- الفراء، **معاني القرآن** (٢/ ١٨٦).

٣٦- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م (٣/ ٣٦٨).

٣٧- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (المتوفى: ٤٧١هـ) **دَرْجُ الدُّرر في تَفسير الآي والسُّوَر**، حقَّقَ القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، وحقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، دَار الفكر، عمان، الأردن (٣/ ١١٩٩).

٣٨- البيت من الطويل، وهو لسويد بن أبي كاهل في ملحق ديوانه (ص٤٥).

٣٩- أطفيش، امحمد بن يوسف، قطب الأئمة (ت: ١٣٣٢هـ) **تيسير التفسير**، تحقيق: إبراهيم بن محمد طلاي، ط٢، ١٤٣٩هـ -٢٠١٨م (٩/ ١٩٣).

في الآية علاقة تشبيه، ولا تعارض بين كلامه في التيسير والهميان فالاستعارة من التشبيه، وقد بيَّن القطب خلاف البصريين والكوفيين في القضية في تفسيره الهميان فقال:

«قال ابن هشام: ﴿فِي﴾ للاستعلاء بمعنى (على). وإيضاحه أنه شبه الاستعلاء المطلق بالظرفية المطلقة بجامع التمكن فسرى التشبيه بجزئيات كل فاستعار لفظ ﴿فِي﴾ لمعنى (على) وهو استعلاء جزئي استعارة تبعية تحقيقية هذا مذهب الكوفيين.

وقال البصريون: ﴿فِي﴾ هنا للظرفية، شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحالّ فيه، على طريق الاستعارة بالكناية، أو شبه الجذوع بالظروف بجامع التمكن في كل على طريق الاستعارة بالكناية. و﴿فِي﴾ على الوجهين تخييل»[٤٠].

والذي يظهر لي أن (في) جاءت مكان (إلى) لدالة بلاغية فلك أن تتصور حالة اليأس والخيبة التي وصل إليها فرعون، فقد جمع السحرة لاغتراره بنفسه وظنه بنصره. قال سبحانه: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ۝٥٧ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۝٥٨ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ۝٥٩ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠﴾ [طه: ٥٧ - ٦٠]

ولولا هذا الغرور فهل يعقل أن يجمع فرعون الناس للشهادة على هزيمته وخيبة ظنه وزاده غرورًا غرور السحرة الذين طمعوا فيما عنده قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ۝٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝٤٠ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝٤١ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝٤٢﴾ [الشعراء: ٣٩- ٤٢].

ثم بعد ذلك يهزم فرعون، وليست هنا مصيبته تجاه السحرة، فلو قال السحرة: سحر موسى أقوى من سحرنا لربما عفى عنهم، لكنهم فاجأوه بإيمانهم وكفرهم به ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝٤٥ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۝٤٦ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝٤٨ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٩﴾ [الشعراء: ٤٥-٤٩] لذلك عبر الله عن شدة صلبهم، وكأنهم أدخلوا في جذوع النخل كناية عن شدة الصلب، والله أعلم.

-قوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦].

حمل القطب الباء في الآية على معنى (من) أو الصلة والمتتبع لأسلوب القطب في تفسيره يرى بوضوح أن القطب يصدر الرأي الذي يميل إليه أولا، فهو الاحتمال الأكبر الذي تحمل عليه الآية، ثم يذكر التوجيهات الأخرى، فقال في التيسير: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ أي يشرب منها أو الباء صلة

٤٠- أطفيش، امحمد بن يوسف (ت: ١٣٣٢هـ)، همیان الزاد إلى دار المعاد، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م (ج١٠ القسم٢ ص٦٨).

أي يشربها أي يشرب ماءها، ويدل له قراءة ابن أبى عبلة (يشربها)، وقيل: «الباء للإلصاق، وقدر بعض أن يشرب الخمر ممزوجة بها أو بالعين ... والباء للتعدية وعينا مفعول يشرب، أي يشرب عينًا بالكأس، أي: يشرب ماء عين بالكأس»[٤١]، وهو بهذا يجوز مذهب الكوفيين القائلين بتناوب حروف الجر، ثم ذكر قول البصريين دون نسبة فقال: «وقيل ضمن يشرب معنى يروى أي يروى بها، والمراد بعباد الله (المؤمنون) مدحهم باسم العبودية إذ عرفوا حق الله وأطاعوه وأذعنوا بالعبادة»[٤٢]، وهذا رأي البصريين القائلين بمنع التناوب.

وقد رجح في الهميان معنى الإلصاق في الباء فقال: «قال ابن هشام: الباء للتبعيض أي منها، والظاهر أنها للإلصاق، وتصح للابتداء وتصح للمصاحبة، كقولك: شربت الماء بالعسل»[٤٣]، غير أن ما يعول عليه فيما استقرت عليه آراء القطب في التفسير هو كتابه التيسير؛ لأنه آخر كتبه، وهو معتمده فيه كما هو معلوم.

والذي يظهر لي أن الباء في الآية للصلة أو المصاحبة فهذه العين لهم متصلة بهم مصاحبة لهم صحبة أبدية لا تنقطع ولا تغور، فلو كان المعنى يشربون منها وفقط لقال الله: يشربون منها، وهذا أمر معلوم، فالعين يشرب منها وليست أداة يشرب بها، ولكن الباء سيقت للدالة على مصاحبتهم الأبدية لها واتصالهم بها، والله أعلم.

-**قوله تعالى:** ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ **[الرعد: ١١].**

اختلف المفسرون في تأويل الباء في هذه الآية إلى «ثلاثة أوجه: أحدها: يحفظونه بأمر الله، قاله مجاهد. الثاني: يحفظونه من أمر الله حتى يأتي أمر الله، وهو محكي عن ابن عباس. الثالث: أنه على التقديم والتأخير وتقديره: له معقبات من أمر الله تعالى يحفظونه من بين يديه ومن خلفه»[٤٤]، قيل «من» بمعنى «عن» يحفظونه عن أمر الله، وهو قول الحسن[٤٥]، وقد ذهب القطب إلى أن (من) في الآية بمعنى الباء فقال في التيسير: «﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١] يحفظونه من المضار بأمر الله، ومن بمعنى الباء، أو لأجل أمر الله لهم بالحفظ، ويجوز أن تكون للابتداء، والمعنى يحفظونه مما هو ملك لله لو وقع أو من أمر الله الواقع على غيره، والضر خلق الله وفعل له، ...، قال كعب الأحبار-رضى الله عنه-: لولا أن

٤١- أطفيش، **تيسير التفسير** (١٥/ ٤٤٩).

٤٢- المرجع السابق (١٥/ ٤٤٩).

٤٣- أطفيش، **هميان الزاد** (١٥/ ١٠٦).

٤٤- الماوردي، **النكت والعيون** (٣/ ٩٩)، ينظر: الطبري، **تفسير الطبري** (١٦/ ٣٧٥)، الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، أبو القاسم (المتوفى: ٥٣٨هـ) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، ١٤٠٧هـ (٢/ ٥١٧).

٤٥- القرطبي، **تفسير القرطبي** (٩/ ٢٩٢).

الله تعالى وكل بكم ملائكةً يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لاختطفتكم الجن»[٤٦]، وقد نص على هذا المعنى في تفسير الهميان وبين مراد الآية فقال: «من» بمعنى الباء، وقد قرأ بالباء: علي، وابن عباس، وزيد بن علي، وجعفر بن محمد، وعكرمة، أي يحفظونه عما يضره، أو يحفظونه عما يضره، أو يحفظونه عمله بإذن الله، فإن لكل آدمي ملكين يكتبان عمله، وملكا آخذًا بناصيته إذا تواضع لله -عز وجل- رفعه بها، وإذا تكبر وضعه بها، وملكًا موكلا بعينيه يحفظهما من الأذى، وملكًا موكلا بفيه، ولا يدع شيئا يدخل فيه من الهوام وغيرها، وكذا لا يدع ما يضره بجسده كلما أراده شيء قال: إليك حتى يأتي القدر»[٤٧].

وجعله (من) بمعنى الباء هو التناوب الذي نص عليه الكوفيون ولا يعني الكوفيون أو غيرهم أن التناوب يأتي هكذا عبثا لا بل هو اختيار لحرف ينوب مكان حرف لغاية يريدها المتكلم ويقصدها، تفهم من سياق النص. والآية محتملة أن تكون على ظاهرها، وهو الأقرب عندي في هذه الآية أو على التناوب، فأما على ظاهرها فإن الملائكة يحفظون من شاء الله حفظه من أمره النازل على خلقه، فالزلازل والحوادث -مثلاً- أمر الله وقدره المقدور، فينزله على من يشاء برفع الحفظ عنه، ويصرفه عمن يشاء بما وكل لهم من حفظه أو أن من للابتداء، فيكون ابتداء الحفظ من أمر الله، ولولا ذلك لما كان له حفظ.

وأما الإنابة فعلى تقدير (عن)، فهم يحفظونه عن أمر الله لهم بحفظه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ [الكهف: ٨٢] أو على تقدير الباء، أي: يحفظونه بأمر الله.

-**قوله تعالى:** ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾[المائدة: ٦].

اختلف المفسرون والفقهاء في معنى (إلى) فمنهم من حملها على ظاهرها، وكان الواجب على هذا ألا تدخل المرافق في حكم غسل اليد غير أنهم أدخلوا المرافق بدلالة السنة المطهرة -على صاحبها أفضل صلاة وتسليم- لا على أن (إلى) بمعنى مع، وقيل: إن إلى على بابها وما بعدها لا يدخل فيما قبلها، وقيل: لا تعرض في دلالتها للدخول وعدمه، وإنما يدور ذلك مع القرائن والأدلة، وقيل: إن كان ما بعدها ليس جنساً لما قبلها لم تدخل، وإن كان جنساً احتمل الدخول وعدمه، وقيل: إن كان ما بعدها جنس مما بعدها دخلت فيه وإلا فلا [٤٨].

ويظهر أن القطب ذهب في تفسيره إلى أن «إلى» على بابها وليس بمعنى مع، وذهب آخرون إلى

٤٦- أطفيش، **تيسير التفسير** (٧/ ٢٤٤).

٤٧- أطفيش، **همیان الزاد** (ج٨ القسم٢ ص٣٠٧).

٤٨- ابن عادل، عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) **اللباب في علوم الكتاب**، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م (٧/ ٢٢٠).

أنها بمعنى (مع) على قول التناوب، وقيل: بتقدير حال. قال القطب: «ودخلت المرافق في الغسل ولم يدخلها داود وزفر والجمهور على الأول، وقيل: (إلى) بمعنى (مع) كقوله تعالى:
﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]. أو نقدر حالا أي وأيديكم مضافة إلى المرافق بالغسل، فلذكر المرافق فائدة الحد، إذ لو لم تذكر لاحتمل اللفظ العموم إلى الإبط واحتمل الكف، واحتملها الذراع، ولما لم تتميز المرافق حكمنا بدخولها، وصح عنه e أنه أدار الماءَ على مرفقيه»[٤٩].

وقال في الهميان: «والجمهور على وجوب غسل المرفق ودخوله، وبه قلنا نحن ومالك، وقد سئل عن الآية فأجاب بأن الذي أمرنا به أن نبلغ المرفقين في الغسل ولا نجاوزهما. وروي أن أبا هريرة توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء، ثم غسل يده اليمنى فاليسرى حتى شرع في العضد، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ. وذلك أن المرفق من جنس المُغيّا، فوجب إدخاله في حكمه، وكأنه قيل: وأيديكم مع المرافق»[٥٠].

والصحيح أن (إلى) مع (من) تأتي على وجهين في اللغة كما يفهم من كتاب الله، فإن كانت المُغيّا جزءًا من المبتدأ كانت إلى بمعنى (مع) أي إن المُغيّا داخل في المبتدأ منه كما في هذه الآية، فالمرافق من اليد في حكم الغسل، وإن كان المُغيّا ليس جزءًا من المبتدأ منه فليست بمعنى (مع) أي إن المُغيّا ليس داخلاً في المبتدأ منه كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فليس الليل من النهار.

٤٩- أطفيش، تيسير التفسير (٣/ ٤٢٤).

٥٠- أطفيش، هميان الزاد (٥/ ٣٣٣).

الخاتمة

أهم نتائج البحث:

١. اختلف النحويون في تناوب حروف المعاني بعضها مكان البعض، والصحيح جواز التناوب إن وجدت علاقة لا على إطلاقه، فالمتكلم لا يتكلم عبثًا وإلا اشتركت الحروف في معانيها.

٢. القطب ممن يرى جواز التناوب، وهذا ظاهر من صنيعه في تفسيريه التيسير والهميان ويبين علاقة التناوب ويربطها بالمجاز كالتشبيه والاستعارة.

٣. اختلاف النحويين والمفسرين والفقهاء في هذه القضية أثر أثرًا بالغًا في تأويل كتاب الله وفي آراء المدارس الفقهية.

٤. لا يمكن حمل الآيات القرآنية على التناوب بشكل سطحي، فذلك يضيع من رونقها وجمالها اللغوي، بل يجب أن تحمل بدلالتها البلاغية فتحفظ معنى الحرف الأصل ممزوجًا بالمعنى الموجَّه إليه، لتثمر بيان المعنى على أفضل ما يمكن أن يكون.

التوصيات

إقامة دراسة بلاغية تحليلية في علاقة التناوب بين حروف المعاني في كتابَي «تيسير التفسير» و«الهميان» محل الدراسة، فنحن نرى كيف يبين القطب العلاقة البيانية بين الحروف المتناوبة.

المصادر والمراجع

- ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس (ت: ٦٤٦هـ) أمالي ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن، دار الجيل – بيروت، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- ابن السراج، محمد بن السري بن سهل النحوي (ت: ٣١٦هـ) الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.
- ابن عادل، عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) أدب الكاتب، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.
- ابن مالك: محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: ٦٧٢هـ) شرح الكافية الشافية، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء

التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط١، مكة المكرمة، ١٤٠٢ه ١٩٨٢م.

- ابن مالك، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: ٦٧٢هـ) شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد (ت: ٧٦١هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د، ط.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله (المتوفى: ٧٦١هـ) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.
- ابن يعيش: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي (٦٤٣هـ)، شرح المفصل للزمخشري، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
- أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت: ٣٧٧هـ) الإيضاح العضدي، تحقيق: حسن شاذلي فرهود (كلية الآداب، جامعة الرياض) ط١، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.
- الأشموني، علي بن محمد بن عيسى، (ت: ٩٠٠هـ) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- أطفيش، امحمد بن يوسف (ت: ١٣٣٢هـ)، هميان الزاد إلى دار المعاد، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- أطفيش، امحمد بن يوسف، قطب الأئمة (ت: ١٣٣٢هـ) تيسير التفسير، تحقيق: إبراهيم بن محمد طلاي، ط٢، ١٤٣٩هـ -٢٠١٨م
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (المتوفى: ٤٧١هـ) دَرْجُ الدُّرر في تَفسيرِ الآيِ والسُّوَر، حقَّقَ القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، وحقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، دار الفكر، عمان، الأردن.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ)، حروف المعاني والصفات، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، أبو القاسم (المتوفى: ٥٣٨هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، (ت: ١٨٠هـ) الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- السيوطي، عبد الرحمن أبو بكر (ت: ٩١١هـ) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، د. ط.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠م.
- الفاكهي، عبد الله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي (٨٩٩ - ٩٧٢ هـ) شرح كتاب الحدود في النحو، تحقيق: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، المدرس في كلية اللغة العربية بالمنصورة، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ. - ١٩٩٣م.
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت: ٦٤٦هـ) إنباه الرواة على أنباه النحاة، المحقق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٢م.
- المالقي، أحمد بن عبد النور (ت: ٧٠٢هـ) رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي (ت: ٢٨٥هـ) المقتضب تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.
- المرادي، بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المالكي (ت: ٧٤٩هـ) الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) معجم الأدباء، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣م.